الاتّساق والانسجام في الفاصلة القرآنية

الدكتور: فاتح بوزرى

جامعة الجزائر - 2 – أبي القاسم سعد الله

الملخّص:

يعالج هذا المقال مستوى من مستويات القرآن الكريم؛ وهو مستوى الفاصلة؛ أي كلمة آخر الآية والتي تعدّ كقافية الشّعر وسجعة النّثر، وهي تَقَعُ عِنْدَ الِاسْتِرَاحَةِ فِي الْخِطَابِ، لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ بِهَا، كما يَنْفَصِلُ عِنْدَهَا الْكَلَامَانِ، وهذا ممّا يساعد على تحقيق الاتّساق والانسجام واللذان يعدان من المعايير النّصية.

الكلمات المفاتيح:

الفاصلة / الاتساق / الانسجام / العلاقات / التّناسب / التّمكين / التّوشيح / الإيغال / التّصدير / المطرّف / المتوازن / المتوازي.

abstract

This article deals with one of the levels of the noble Quran el facila. Which means the last word of the Quranic verse. This ore can be considered as a poem rhyme, and it manifests it self in the discursive break for a better reading and saying. As it allows cohesion and coherence that are considered among the textual criteria.

مقدمة:

تسير الفاصلة القرآنية إلى غاية محكمة؛ متّسقة في حروفها وألفاظها وعباراتها، ومنسجمة في معانيها ودلالاتها؛ كأنّما تتلاحم بروح حيّة، ما هو إلاّ أن تتّصل بك حتى تمتزج بروحك، وتخالط إحساسك.[1]

وما من فاصلة في القرآن الكريم إلاّ وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها؛ إذ يستحيل في النّظم الكريم أن يقع مكانها سواها، فـ«لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[2]؛ وليس عدم اهتدائنا إلى سرّها البياني والجمالي والتّداولي قدحاً في موقعها وإنّما قصور الإدراك فينا.[3]

تعريف الفاصلة:

لغة: "فَصَّلْتُ الوِشاحَ: إذا كانَ نَظمُه مُفَصَّلاً، بأَن يُجعَلَ بينَ كلِّ لؤلؤَتَيْنِ مَرجانَةٌ أَو شَذَرَةٌ من لونٍ واحِدٍ ... وأواخِرُ آياتِ التَّنزيلِ العزيزِ فواصِلُ، بمَنزِلَةِ قوافي الشِّعْرِ، جَلَّ كِتابُ الله - عزَّ وجَلَّ - الواحِدَةُ فاصِلَةٌ".[4]

اصطلاحا: عرّف الرمّاني الفاصلة فقال: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والسجع عيّ»[5]، وهو التّعريف نفسه الذي نجده عند أبي بكر الباقلاني.[6]

آليات الاتّساق والانسجام في فواصل القرآن:

هذه الآليات تدخل ضمن ثلاث جوانب – الإيقاعي[7] والمعجمي والدّلالي - لمجموع العلاقات القرآنية، وهي أنواع عدّة: التّمكين والتّوشيح والإيغال والتّصدير، والمطرّف، والمتوازي والمتوازن.

أوّلا: التّمكين: من "(مَكَّنْتُه من الشَّيءِ) تَمْكِيناً ... إذا ظَفِرَ بِهِ"[8]، والتّمكين عند البلاغيين[9]: «أن تكون القافية متعلّقة بما تقدّم من معنى البيت تعلّق نظم له وملائمة لما مرّ فيه»[10]؛ أيْ أنْ تكون لقافية البيت أو سجعة الفقرة تعلّق بما قبلها، وفيه تمهيد لها، ودلالة منه أو من بعض جملته عليها فتكون متمكّنة في مكانها، أمّا (التّمكين) في علوم القرآن فهو: «أن تمهّد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنة في موضعها غير نابية ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى الكلام كلّه، تعلّقا تامّا حيث لو طرحت اختلّ المعنى واضطرب الفهم، وهذا الباب يطلعك على سرّ عظيم من أسرار القرآن فاشدد يديك به».[11]

نخلص إلى أنّ علاقة التّمكين تتمثل فيما يأتي:

أولا: هي علاقة دلالية متعلّقة بالمعنى لا باللّفظ كما هو الأمر في التّصدير.

ثانيا: ضرورة التّمهيد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها.

ثالثا: تحقيقها لعلاقتي الاتّساق والانسجام، أي تحقيقها للتعلّق بما قبلها.

مثاله قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ

أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27)﴾ [السجدة].

فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ولم يقل أولم يروا وقال بعد ذكر الموعظة: ﴿أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنّه تقدّم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يسمع، وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وقال بعدها أفلا يبصرون؛ لأنّ سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي، خطابا للسّامع بما يفهم، فكان آخر الآية مناسبا لأوّلها مناسبة معنوية.

ثانيا: التّوشيح: "(التَّوْشيح أَن) يَتَّشِح بالثَّوْب ثمَّ يُخْرِجَ طَرَفَه الَّذِي أَلقاه على عاتِقه الأَيسرِ من تحْتِ يدِه اليُمْنَى، ثمَّ يَعْقِد طَرَفَيْهِمَا على صَدْرِه ... [و] التّوْشِيح: اسمٌ لنَوْع من الشّعْر استحدَثَه الأَندلسيون"[12]، والتّوشيح عند البلاغيين: «أن يكون أوّل البيت شاهدا بقافيته، ومعناه متعلّقا به، حتى إنّ الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أوّل البيت عرف آخره، وبانت له قافيته»[13]، أيْ أن يكون في أوّل الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إن كان شعرا، أو سجعا إن كان نثرا[14]، أو فاصلة إن كان قرآنا، بشرط أن يكون المعنى المتقدّم بلفظه، من جنس معنى القافية أو السّجعة أو الفاصلة أو من لوازم لفظه، أمّا التّوشيح في علوم القرآن فهو" :أن يكون في أوّل الكلام ما يستلزم الفاصلة من حيث المعنى، وعلى هذا فالدلالة هنا دلالة لفظية[15]"؛ وسمي به لكون نفس الكلام يدلّ على آخره، وقد نزل المعنى «منزلة الوشاح، ونزل أوّل الكلام وآخره منزلة العاتق، والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح»[16]؛ ولهذا قيل فيه إنّ الفاصلة تعلم قبل ذكرها، وسماه ابن وكيع المطمع؛ لأنّ صدره مطمع في عجزه.

ونستخلص من كلّ هذا أنّ التّوشيح عبارة:

أولا: علاقة دلالية.

ثانيا: يحقّق الاتّساق والانسجام بين أوّل الكلام وآخره؛ ومعناه متعلّق به، يقول أبو بكر الباقلاني: «هو أن يشدّ أوّل البيت بقافيته وأوّل الكلام بآخرة».[17]

ثالثا: نوع من أنواع التّكرار بالتّرادف، بشرط أن يكون المعنى المتقدّم بلفظه، من جنس معنى القافية، أو السّجعة بلفظها، أو من لوازم لفظه.

ومثال ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ

(37)﴾ [يس]؛ فإنّه من كان حافظا لهذه السّورة متيقظا إلى أنّ مقاطع فواصلها النّون المردفة، وسمع في صدر هذه الآية ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ علم أنّ الفاصلة مظلمون، فإنّ من انسلخ النّهار عن ليلة أظلم ما دامت تلك الحال.

ثالثا: الإيغال: من الفعل "وَغَلَ فِي الشَّيْءِ (يَغِلُ) وُغولاً: دَخَلَ فِيهِ (وتَوارَى) بِهِ، ... وَغَلَ وُغُولاً: (بَعُدَ وَذَهَبَ) ..."[18]، والإيغال عند البلاغيين: «هو أن يأتي الشّاعر بالمعنى في البيت تامّا، من غير أن يكون للقافية في ذكره صنع، ثم يأتي بها – يعني القافية - لحاجة الشّعر إليها ليكون شعرا، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت»[19]، أمّا الإيغال في علوم القرآن فهو: "أن يستوفي معنى الكلام قبل بلوغ الفاصلة القرآنية، ثم تأتي الفاصلة فتزيد معنى آخر يزداد به المعنى العام وضوحا وبيانا وتوكيدا".[20]

وعلى هذا فالإيغال ختم الكلام بما يفيد نكتة، وسمي به لأنّ المتكلّم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحدّ، يقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم إذا أتمّ معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل.

وهنا تصل إلى نتيجة مفادها أنّ الإيغال يأتي:

أوّلا: بعد تمام معنى الآية.

ثانيا: ليفيد نكتة جديدة (من حيث المعنى، وهنا يمكنني الحديث عن الارتباط الدلالي الذي تحدثه الفاصلة من خلال علاقة الإيغال).

ثالثا: ليزيد مدرج الكلام الوارد في الآية وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا ويزيد الكلام نصاعة والمعنى بلوغا إلى الغاية القصوى في الجودة، يقول العلوي (الإيغال): «عبارة عن الإتيان في مقطع البيت وعجزه أو في الفقرة الواحدة بنعت لما قبله مفيد للتأكيد والزّيادة فيه».[21]

رابعا: متضمّنا معنى من معاني البديع، مثل التّشبيه والمبالغة.

خامسا: ختما للكلام.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80)﴾ [النمل]، فإنّ قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾؛ إيغال أتى بعد تمام المعنى في قوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ فزاد به معنى، وهو إثبات تولهم مدبرين حال الدّعاء، وفي ذلك توكيد لنفيّ الفهم عنهم من

جهتين:

الأولى: الصمم الذي في آذانهم.

الثّانية: كونهم ولّوْا فارين معرضين عن الدّاعي وكلّ جهة من الجهتين وافية بنفيّ الفهم عنهم.

فإن قيل: فما معنى الإتيان بمدبرين، وقد أغنى عنها ذكر التّولي ؟ قيل: لا يغني ذلك عنها، إذ التّولّي قد يكون بجانب دون جانب، كما يكون الإعراض، ولمّا أخبر سبحانه - وهو أعلم – بذكر تولّيهم متمّما للمعنى في حال الخطاب لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإنّ الأصمّ يفهم من الإشارة، ما يفهمه السميع من العبارة، ثم علم سبحانه أنّ التّولّي قد يكون بجانب دون جانب كما تقدّم، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتولّ به فيدرك بعض الإشارة، والمراد نفي إدراك كلّ الإشارة، فجاءت الفاصلة ﴿مُدْبِرِينَ﴾ ليعلم أنّ التولّي كان بجميع الجوانب: حيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا، فاحتجب المخاطَب عن المخاطب، إذ صار من ورائه فخفيت عن عينيه الإشارة، كما صمّت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة الكلّية في عدم السماع بتّة، وهذا تمثيل مثلّت به حال هؤلاء القوم أتى مدمجا في الإيغال.[22]

رابعا: التّصدير: من"(الصَّدْرُ: [وهو] أَعلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شَيْءٍ وأَوَّلُه)، حَتَّى إِنَّهُم ليقُولُون: صَدْرُ النَّهَارُ والليلِ، وصَدْرُ الشِّتاءِ والصَّيْف وَمَا أَشبه ذالك"[23]، والتّصدير أو (ردّ العجز على الصدر) عند البلاغيين: هو «كلّ كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا، أو معنوية نادرا، تحصل الملائمة والتّلاحم بين قسمي كلّ كلام»[24]، أمّا في علوم القرآن فـ:"هو أن تكون الفاصلة ذاتها متقدّمة في الآية، وعلى هذا فدلالة التّصدير دلالة لفظية".[25]

نخلص إلى أنّ التّصدير يتضمّن ما يأتي:

أوّلا: التّصدير تكرار باللّفظ نفسه.

ثانيا: وجوب وجود رابطة لفظية أو معنوية بين بداية ونهاية الكلام.

ثالثا: أنّه رابط من روابط التّذكير، ولذلك يستطيع السّامع أن ينطق بالقافية الشّعرية أو الشّطر الأخير كلّه بمجرد سماعه الشّطر الأوّل.

رابعا: فيه نوع من الدّلالة والتّقرير؛ فالكلام الذي تردّدت ألفاظه، فيه تقرير وبيان وتدليل.

خامسا: أداة من أدوات الاتّساق اللّفظي لقول ابن أبي الإصبع: «تحصل الملاءمة والتّلاحم بين قسمي كلّ كلام».[26]

وقال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام:

الأوّل: أن توافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحو: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)﴾ [النساء].

الثّاني: أن يتوافق أوّل كلمة منه نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)﴾[آل عمران].

الثّالث: أن يوافق بعض كلماته نحو: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)﴾[الأنعام].

وهنا قسم رابع لم يذكره ابن المعتز تتمّ فيه علاقة التّكرار مع الآية التي تأتي بعدها وليس في نفسها: قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)﴾ [الأعراف].

المثال: قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ(6) ﴾ [الأعراف].

لَمَّا أَمَرَ الرُّسُلَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالتَّبْلِيغِ وَأَمَرَ الْأُمَّةَ بِالْقَبُولِ وَالْمُتَابَعَةِ وَذَكَرَ التَّهْدِيدَ عَلَى تَرْكِ الْقَبُولِ وَالْمُتَابَعَةِ بِذِكْرِ نُزُولِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا أَتْبَعَهُ بِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ التَّهْدِيدِ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى يَسْأَلُ الْكُلَّ عَنْ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ يَسْأَلُ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ؛ وَسُؤَالُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ سُؤَالٌ عَنْ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ، وَهُوَ سُؤَالُ تَقْرِيعٍ فِي ذَلِكَ الْمَحْشَرِ، وَسُؤَالُ الْمُرْسَلِينَ عَنْ تَبْلِيغِهِمُ الرِّسَالَةَ سُؤَالُ إِرْهَابٍ لِأُمَمِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا شَهَادَةَ رُسُلِهِمْ عَلَيْهِمْ أَيْقَنُوا بِأَنَّهُمْ مَسُوقُونَ إِلَى الْعَذَابِ؛ فتأمّل كيف وافقت البداية النّهاية وكيف تكررت مادة (سأل).

خامسا: المطرّف: "المُطَرَّفُ من الخيل، بفتح الراء، هو الأبيضُ الرأسِ والذَنَبِ، وسائرُ جسده يخالف ذلك".[27]

والمطرف عند البلاغيين:" أن يقع الاتّفاق في حرف الرّويّ مع قطع النّظر عن التّوازن في شيء من

أجزاء الفقرة في آخر ولا غيره".[28]

أمّا في علوم القرآن فـ: «أَنْ تَخْتَلِفَ الْفَاصِلَتَانِ فِي الْوَزْنِ وَتَتَّفِقَا فِي حُرُوفِ السَّجْعِ».[29]

مثال ذلك قوله الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)﴾ [نوح]؛ فوزن: ﴿وَقَارًا﴾ يختلف عن وزن: ﴿أَطْوَارًا﴾ والروي واحد، وهو حرف الراء.

ولا يخفى على من له أدنى بصيرة في علم اللّغة والبلاغة أنّ هذه (الحروف المكررة في الفاصلة) تساعد على الحفظ والتّذكر، مع ما لها من فوائد أخرى.

سادسا: المتوازن: "الوَزْنُ: ثقل شَيءٍ بشَيْءٍ مِثْلِه، كأَوْزانِ الدَّراهم".[30]

والموازنة عند البلاغيين: "أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التّقفية".[31]

أمّا المتوازن في علوم القرآن: "أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط".[32]

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ(16) ﴾ [الغاشية].

إنّ أدنى ما يشترطه (التّوازن) كون الفواصل على وزن واحد، فإن توفر الوزن في كلمات القرائن جميعا أو في أكثرها وتقابلت الكلمة مع ما يعادلها وزنا كان ذلك أجمل، مثل قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118)﴾ [الصافات]، وهذا يطلق عليه في الشّعر الموازنة.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (19) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22)﴾ [الشورى].

فواصل "هذه الآيات جميعها على وزن واحد؛ فإن «شديد» و«قريب» و«بعيد» و«عزيز» و«نصيب» و«أليم» و«كبير» كل ذلك على وزن فعيل، وإن اختلف حروف المقاطع التي هي فواصلها؛ وأمثال هذا في القرآن كثير؛ بل معظم آياته جارية على هذا النهج، حتى إنّه لا تخلو منه سورة من السّور، ولقد تصفّحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السّجع والموازنة".[33]

سابعا: المتوازي: وهو اتّفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرّوي، وَهو أَشْرَفُهَا منزلة عند أهل البلاغة.

والمتوازي في علوم القرآن:" أَنْ تَتَّفِقَ الْكَلِمَتَانِ فِي الْوَزْنِ وَحُرُوفِ السَّجْعِ"[34]، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية].

الخاتمة:

إنّ القرآن الكريم علا بدقّته فوق فوارق الزّمان، واتّضعت لعظمة ترتيبه ونظمه حواجز المكان، حيث نُظمت حروفه وكلماته إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عن الإتيان بمثلها؛ فكيفما أدرتها فإنّك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللّذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام التّام، وعلى هذا فقد أسفر هذا المقال على النتائج الآتية:

1. أظهرت الفاصلة في القرآن الكريم جانبا بارزا من جوانب الإعجاز البياني من حيث دقّة النّظم، وقوّة الاتّساق، وحسن الانسجام.
2. حروف الفواصل إمّا متماثلة أو متقاربة، فلا تخرج عن هذين القسمين؛ بل تنحصر فيهما.
3. الفاصلة القرآنية تراعي اختيار المفردات الفصيحة؛ واختيار التّأليف الفصيح، وكون اللّفظ تابعا للمعنى لا عكسه.
4. تغيّر بنية الكلمة من أجل رعاية الفاصلة.
5. استدعاء المقام لفاصلة دون غيرها.
6. إن الفاصلة القرآنية قد تكون رأس آية وقد لا تكون رأس آية.
7. اشتملت الفواصل القرآنية - إضافة إلى ما ذكرناه - على كثير من الآليات البلاغية المساعدة على تحقيق معياري الاتّساق والانسجام؛ أذكر منها على سبيل المثال: التّقديم والتّأخير، التّوكيد، الاستفهام، الإضمار في موضع الإظهار... إلخ.
8. إنّ الآليات والأدوات المستخدمة لتنظيم وربط الفواصل القرآنية هي أدوات تتعدى مستوى الجملة

إلى النّص.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، ط1، 2001 م.
2. ابن أبي الأصبع المصري أبو محمد عبد العظيم بن عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد (ت 654 ه)، بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع.
3. ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن.
4. ابن حجة الحموي أبو بكر بن علي بن عبد الله الأزراري (ت 837م)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شيقو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 2004م.
5. أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطنية، ط1، 1302هـ.
6. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502ه)، المفردات في غريب القرآن، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.
7. أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي الباقلاني (ت 503ه)، إعجاز القرآن للخطابي، تح أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3.
8. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170ه)، كتاب العين، تح د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ت ن) (دط).
9. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794ه)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957 م.
10. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 542ه)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1422هـ.
11. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393ه)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987 م، ج4، ص1393 / 1395.
12. أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت 821ه)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط) (د ت ن).

13. أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسورة، مطبعة الأزهر، مصر، ط1، 1979م.
14. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت 911ه): الإتقان في علوم القرآن، تح فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة، ط 1، 2006م.
15. الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (ت 1356ه)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2005م.
16. الرّوماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3.
17. الزركشي بدر الدين أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهار (ت 797ه)، البرهان في علوم القرآن، تع مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007م، ج1، ص74.
18. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911ه)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1974 م.
19. عبد المتعال الصعيدي (ت 1391ه)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 2005م.
20. العلوي يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت745ه)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423ه.
21. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817ه)، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، 2005 م.
22. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية (د ت ن).
23. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 ه.
24. نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت 637ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محي الدين عبد

الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420 هـ، ج1، ص 273.

[1] - الرافعي مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (ت 1356ه)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2005م، ص 166.

[2] - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت542ه)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1422ه، ج1، ص52.

[3] - أحمد يوسف القاسم، الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسورة، مطبعة الأزهر، مصر، ط1، 1979م، ص 235 / 258.

[4] - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية (د ت ن)، ج30، ص 163. "الفَصْلُ: إبانة أحد الشّيئين من الآخر: حتى يكون بينهما فرجة، ومنه قيل: المَفَاصِلُ، الواحد مَفْصِلٌ، وفَصَلْتُ الشاة: قطعت مفاصلها، وفَصَلَ القوم عن مكان كذا، وانْفَصَلُوا: فارقوه"، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502ه)، المفردات في غريب القرآن، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، ص 638.

[5] - الرّوماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، ص 97.

[6] - «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي الباقلاني (ت503ه)، إعجاز القرآن للخطابي، تح أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، ص409.

[7] - تتألف فواصل السورة من حروف متنوّعة لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بيّنا، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النّغمة، وفي حس السّمع وذوق اللّسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت هجنة في السّمع، كالذي تنكره من كلّ امرئ لم يقع أجزاؤه على ترتيبها.

[8] - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ت ن)، ج36، ص 191.

[9] - يسميه قدامة ومن تابعه بائتلاف القافية مع ما يدلّ عليه سائر البيت، وهذه العلاقة من دقيق المناسبة المعنوية؛ ولذا قال الحموي في خزانة الأدب: «إنّه عبارة عن استقرار القافية في مكانها؛ لأنّها لا تزيد معنى البيت؛ بل إذا حذفت نقص معنى البيت؛ لأنّها ممكنة في قواعده»، ابن حجة الحموي أبو بكر بن علي بن عبد الله الأزراري (ت837م)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح عصام شيقو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط 2004م، ج1، ص 244.

[10] - أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطنية، ط1، 1302ه، ص 62.

[11] - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 74.

[12] - "هُوَ فنٌّ عَجيبُ لَهُ أَسماطٌ وأَغصانٌ وأَعاريضُ مختلِفة وأَكثر مَا يَنتهِي عِنْدهم إِلى سبعةِ أَبيات"، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ت ن)، ج7، ص 210.

- [13]أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، نقد الشعر، ص 63.

[14] - ابن أبي الأصبع المصري أبو محمد عبد العظيم بن عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد (ت654ه)، بديع القرآن، تح حفني محمد شرف، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، ص 90.

[15] - إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، ط1، 2001 م، ص 211.

- [16]ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص 228.

- [17]أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص92.

" - [18](وَأَوْغَلَ فِي البِلاَدِ) ونحوِها، (و) كَذلِكَ أَوْغَلَ فِي (العِلْمِ): إِذا (ذَهَبَ وَبَالَغَ وَأَبْعَدَ) فِيهَا"، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ت ن)، ج31، ص 93.

[19] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 63، وقد وافق ابن أبي الأصبع قدامة على هذا حيث قال بأنّ الإيغال: «هو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر، يزيد وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا»، ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص 91.

[20] - إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم – دمشق، ط1، 2001 م، ص 211.

[21] - العلوي يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت745ه)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423ه، ج3، ص71.

- [22]ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 92/91.

[23] - "يَقُولُونَ: أَخَذَ الأَمْرَ بصَدْرِه، أَي بأَوَّلِه، والأُمورُ بصُدُورِهَا، وَهُوَ مَجاز، (وكُلُّ مَا وَاجَهَك) صَدْرٌ، وَمِنْه صَدْرُ الإِنسان"، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ت ن)، ج12، ص 293.

- [24]ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص 36.

[25] - إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 2001 م، ص 211.

[26] - المرجع السابق، ص 36.

- [27]"الطَرَفُ، بالتحريك: النّاحية من النّواحي، والطائِفةُ من الشئ ... ويقال: طَرَّفَ فلان، إذا قاتلَ حول العسكر؛ لأنَّه يحمل على طَرَفٍ منهم فيردُّهم إلى الجمهور، ومنه سمِّي المُطَرِّفُ"، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393ه)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987 م، ج4، ص1393 / 1395.

[28] - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت 821ه)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ط) (د ت ن)، ج 2، ص 305.

[29] - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911ه)، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1974 م، ج 3، ص 356.

[30] - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170ه)، كتاب العين، تح د مهدي

المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ت ن) (دط)، ج7، ص 387. "ويُقالُ: وَزَنَ الشّيء إذا قدّره، ووزن ثَمَر النَّخل إذا خَرَصه] ... والميزانُ: ما وَزَنْت به" "والميزانُ: والعَدْلُ، والمِقْدَارُ، ووازَنَهُ: عادَلَهُ، وقابَلَهُ، وحاذاهُ"، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، 2005 م،ج1، ص 1238. "وأَوْزانُ العربِ: مَا بَنَتْ عَلَيْهِ أَشعارها، وَاحِدُهَا وَزْنٌ، وَقَدْ وَزَنَ الشِّعْرَ وَزْناً فاتَّزَنَ؛ كلُّ ذَلِكَ عَنْ أَبي إِسحاق. وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْزَنُ مِنْ هَذَا أَي أَقوى وأَمكنُ"، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، ج13، ص 448.

[31] - عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 2005م، ج4، ص 660.

- [32] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957 م، ج 1، ص 76.

- [33]نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420 هـ، ج1، ص 273.

- [34] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957 م، ج 1، ص 75.